حالة اعتراف بالحب القديم

لاني لم اكتب عن عينيك
ولم اطبع فوق جفونك قبلتي الاولى
يقتلني ذنبي
يا أرضا تعترض مساري
بعد ملايين الطرقات الصعبة غير
المطروقة قبلي
بين المدن الخربه
والملأى بالفقراء
وبالسوّاح
وبالسادة
والغرباء

لاني اقتل شيئا في صدري
مغفرة ..
أقتل
أقتل حتى وجهي
وأشيح بعينيّ بعيدا عن عينيك
وأقرب منك اليك .. أنا
صدقا
أتحدث مثل حديثي قبل بلوغي السنة
العشرين
خذيني
قبل رحيلي عنك
الى حيث الفجر الجوّالون
بوجه الانكار التاريخي المجرم للانسان
الفجر قديما كانوا مثلي
عشقوا ..
طردوا ..
كانوا في بلد يشبه عينيك كثيرا
ويديك
وصدرك

يا ويل فلسطين
وويلي
ان صرت مع الفجر الرحل
أتنقل
أتسول حتى الغربة
معذرة
لم اكتب عن عينيك
ولكني قاتلت
لكي تصبح عيناك قراري
أتخاذل
أرحل ؟ كلا ...
فعيونك في عينيّ
وفي وجهي
في كفيّ
وفي صدري
خلّفتك في دائرتين
عذابي
والمنفى
خلّفتك جسدي المفروض على اركان
الشرفات
القائمة على جدران عمارات السادة
والملاّك
البياعين حليب صغار القوم
البياعين بسعر الجملة ـ ايضا ـ كل
صغاري
وتراثي
والصور
التذكارات
عن الاحباب
وعن قريتنا المحتلة
والحارات الحبلى بالشهداء
على « جبل النزهة »
« والوحدات »
على كل القمم بعمان
وفي عمق الوطن المتواري خلف ركام
السنوات
المفعمة دموعا
ودماء
وجرائد
وكتابات
لم تدركه
ولا أعطته سوى الحذر اليومي المتنامي
فوق فلسطين .. وشعب فلسطين
على كل الساحات
وفي انسجة الآهات المتصاعدة على
أجنحة الغربة
والاحزان
وفي بوابات المدن الغربية
والشرقية
أحكي ...
معذرة .. ان كنت قسوت قليلا
فأنا اتمثل كل الصوان
وكل الشوك
وكل الدم
وبعض حراب جيوش العرب بلحمي
أتمثل ايضا عينيك الجارحتين
سواد ردائك
هذا الفحم النامي شجرا فوق جبينك
يا ليلي
ونهاري
الزمن الآتي
اعترف بحبك
بالمتفجر من عينيك
وتاريخي
عبر السنوات الالف الحبلى بكلينا
حالة عشق لا تفشل
ما زالت ... لكن
بين عيوني .. وعيونك
يزدادون صفوفا
وسلاحا
وقوى تنتكس
وتزداد بعصر فيتنام ضمورا
وتراقص نيكسون
تطعمه لحمك
آه ...
أعجز أن أقرأ مستقبلنا الاقرب
نؤكل في أروقة الحلفاء
ونسحق تحت حوافر خيل الغرباء عن
الارض واحلام الانسان
وحالات الانسان
وأقسم ...
أعرف كيف احب بصدق
أصمد هذي اللحظة
في قائمة الغرباء
الشهداء المنسيين
وأسقط في قائمة الاعلانات عن التحف
المفقودة
في حفريات الآثار الدارسة
وفي قاعات الشجعان على بيعك
للسواح
لمن يبحث عن شقق فرشت في القاهرة
وبيروت
وعمان
وكل المدن المسكونة بالفقراء
المحرومين من العمل
ومن سكنى أفقر أحيائك
والمضغوطين بكل اساليب السلطة
سجنا
وعذابا
وقرارا بالموت
وتجويع الآباء

وتجويع الابناء
وتعقيم الآباء
خذي حذرا منهم
وخذي قلبي
كي نعطي طفلا سيقاتل
لن يعتذر
ولن يقبل عذرا
يا من أحببتك
لو عرفت أمي كيف ؟
لهزتني فرحا ...
يا فرحي الراهن
والراحـل
والمقبل في ذات الوقت
لمـاذا ؟
يحدث ان تشرق كي ترحل
أو أرحل
كيف تعانقني ؟
لا تتلاشي ..
هي برهة حب اكبر مني
أوسـع
أكثر صدقا
وأشد ثباتا من قدميّ المتعبتين
على طرقات بلادي المسدودة دوني
بقرارات الجامعة العربية
والهيئات الدولية
والنادي الامريكي
لا أعجز عن أن أصل الى مفتاحك
يا وطنـي
فالمفتاح على زناري
حرب الشعب
وقاتلت .. ولكن
أين اثبّت اقدامي ؟
من هم أصحاب الاصحاب ؟
وكيف اوسّع جبهة حرب الشعب ؟
وكيف اضيّق جبهة اعدائي ؟
كان كبار بلادي يصطافون
وكنت اقاتل ذاتي
وتشرذمت
انتحرت قافلتي
أو قتلت
لا تبكي ..
يا ساهرة الليل عليّ
ومن أجلي
ابتسمي
اتفـاءل
أو اتشاءم
احـزن
أو افرح
لو عيناك الجارحتان توقفنا عـن أن
ترتحلا عني
اختصريني
اتذوّب في ذرات البرق
وأصل اليك
واسكن فيك دما
وترابـا
وشتـاء
وبحـارا
وجه القدس المتهدم تحت الجرافات
وتحت هداسا
والجامعة العبرية
والدوريات
وتحت مشاريع عمارات ذوي العاهات
الفاشية
يا أنت ..
أحبك .. في وطني ... المدن العربية
والارياف المستعبدة رجالا
وجنـودا
ونسـاء
وصغارا
ومساحات
صدري خزان الحزن المتوحش
والمتوحد
في الليـل
وفي الادغال وحيدا
وكبيـرا
يتعرف لليوم الاول جوعا
يتشكل وجها فـوق الوصف ...
مخافرهم
لم تلمح بعضا منه على سحنة شحاذ
أو موال
اكثر حزنا من نهر الاردن المتحدر نحو
البحر الميت
حمالا جثث الاحباب المقتولين عـلى
الشطين
تلاقينـا
عيناك .. ورشاشي
ياغاليتي
شدي الاشرعة اليّ
اليّ
اليّ
فأنت على مرمى بصري
وعلى مرمى اصبع كفي
وعلى مرمى الرشاش الاخرس
ها اني
أستعبد في زمن الموت على قدمي أمي
واذلّ
أصير حكاية بطل قتل
ولم يتعلم من خبراء الحرب ..
ولكنـي
أعرف ما أحدثه من شرخ في مـرآة
العالـم
أعرف أني مرتبط الجسد بكل عروق
الصخر لديك
بكل الناس البسطاء
التواقين الى أن تصبح حرا
يـا وطنـي
لتحب الاحياء
كما احببت الاطفال الشجعان
واحببت الشهداء
شهيدك يحمل في النعش العربي
يقوم على الاكتاف
يدير على المشهد عينيه
يدق على خشب التابوت
ويسأل حمّاليه عن القاتل
يترجـل
يخلع عنه الخشب
ويأخذ وجهته للقرية
يذكر كل حجارتها
وبيادرها
و « عمايرها »
يتذكر انك تنتظرين اياب الفارس
اذ يتغلغل في طيات الظلمة خطو عيونك
بشجاعة كل عذابات فلسطين
وفلاح فلسطين
وعمال فلسطين
ومتعبة فوق الاسلفت .. أراك
وفوق الاعلانات
وجبهات البارات
وابواب الغرف السرية
والعلنيـة
في مدن السلطة
تحت زنازين كلاب السلطة
والزعماء الدجالين
لاني لم أسقطهم بعد
ولم اكتب عن عينيك
لسوف أظل أقاتل
كي أقتل
واعيش
وأقتـل
وأعيش
وأقتـل
وأعيش
لتحضنني عيناك
وتأويني يقظا طول الليل

خالد ابو خالد